شعر غزوات
النبي صلى الله عليه وسلم
((دراسة تحليليَّة))

أ.د. محمد بن هادي المباركي
الجامعة الإسلاميَّةالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

الملخص:

قامت هذه الدراسة على تتبُّع شعراء غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة ، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام ، ومنافحة خصومه ، والتَّصدي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدعوة الإسلامية .

وقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين أساسين ، أحدهما بعنوان : ((الشعر في مواكبة الغزوات)) ، وفيه عرض البحث لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين ، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين ، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه . وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين ، ولكنهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران . وفي غزوة (مؤتة) وقف الشِّعر يستنهض الهمم ، ويقوِّي العزائم ، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله . وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء ، حيث مجد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته ، وأهمِّيته للمسلمين .

Abstract :.

This research is based on exhaustive compilation of the eternal poems said in the battles of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and those poets that composed them. It touched on the spirit of enthusiasm, determination, concern for the defense of Islam, fight against its

المنارة للاستشارات

opponents and rejoining to all the poems they said to offend the Islamic Da'wah.

The research is composed of two main research sections:

First: Poems said to keep up with the Prophetic battles. Here the research addressed the Prophet's battles and the poems said in their regard in response to the poems of polytheistic poets, where the battle of Badr was the first battle to get the attention of poets. Then, it was followed by the battle of Uhud, which was characterized by profound amount of poems owing to the events that occurred making the polytheistic poets to exhibit superiority over the Muslims. That is why the rejoinders of Muslim poets came to silence those poems and expose their defects.

In the battle of the Trench, poetry stood to express the enthusiasm of Muslims and their moral spirit to confront the confederates that came to invade the Muslims but ultimately returned with ill consequence and loss.

During the battle of Mu'tah, the Islamic poetry stood by to boost morals, enhance determinations and refer to the victory or martyrdom in the path of Allah, which was the aim and objective of the Muslims.

Finally, was the Conquest of Makkah, which was indeed a great glad tiding for Muslims and a gateway to spread Islam in that area. The poets glorified that victory and expressed its greatness and significance to Muslims.

الشِّعر في مواكبة الغزوات

كان عصر صدر الإسلام حافلاً بالوقائع المتوالية ضدّ المشركين، إذ كانت المعارك تدور معركة في إثر معركة، وقد أوجد ذلك صوراً مفعمة بالبسالة والتّضحية بين المجاهدين الذين كانوا يلاقون عتاة المشركين ويتصدَّون لهم، ويوقعون بهم الهزائم، وذلك ما صوره الشِّعر في تلك الفترة، فقد واكب الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبِّر عن عظم المهمَّة التي قام بها أولئك المجاهدون، وما قدموه خلالها من التضحية بالنفس والنَّفيس.

هو ما يدلِّل على الدور العظيم الذي قام به الرسول الكريم ﷺ فقد استطاع أن يطوِّر الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة والحربيَّة خلال- عقدين ونيِّف من الزَّمن، وأن يجهِّز الجيوش والفرسان لنشر الدَّعوة الإسلاميَّة في مختلف الأمصاروقد صوَّر الشُّعراء غزوات الرَّسول ﷺ ومعاركه، وعلى رأسهم حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين جاء شعرهم ناطقاً حيّاً ومعبِّراً صادقاً عن المعارك والغزوات، سواءً أكانت داخل الجزيرة العربيَّة أم خارجها، فجاء الشعر مفعماً بتصوير

تلك الملاحم البطوليَّة، التي سطَّرها المسلمون، وقدَّموا خلالها أروع التَّضحيات من أجل نصرة الدَّعوة الإسلاميَّة.

ومن يتأمَّل في أثر الشِّعر في تلك الحقبة الزمنيَّة، وقدرته على حفز الهمم والعزائم يدرك ما كان ينبغي أن يصنعه الشِّعر من تأثير فاعل في مواجهة الأعداء الذين ما فتئوا يسيئون للدَّعوة الإسلاميَّة ويهجون الرسول الكريم والمسلمين، وهو ما ظهر جليّاً في أشعارهم التي ردَّت عادية الأعداء، وتصدَّت لسهامهم، فكانت تقوم بمهمَّة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك ما أبان عنه بوضوح الحديث النَّبويُّ الشَّريف الذي روته عائشة-رضي الله تعالى عنها- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنَّه أَشَدُّ عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم، فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم إلى حسَّان بن ثابت، فلمّا دخل حسَّان قال: قد آن لكم أن تُرْسِلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحقِّ لأفرينَّهم فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإنَّ أبا بكرٍ أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتَّى يلخِّص لك نسبي، فأتاه حسَّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحقِّ لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرة من العجين». قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هجاهم حسَّان فشفى واشتفى» (مسلم, 1375هـ,1935/4).

وقد عدَّ النبي ﷺ الشِّعر المدافع عن الإسلام نوعاً من أنواع الجهاد، وذلك في قوله ﷺ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحُ النَّبْلِ» (ابن حنبل, 1374هـ, 465/3).

فكان شعراء المسلمين يشاركون بقصائدهم في كل ما يعرض من أحداث، ويصفون المعارك الإسلامية.

وسوف يظهر بوضوح أثر شعر الغزوات في وصف المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وإبراز القيم الإسلاميَّة السَّامية التي أفصح عنها المسلمون، وهم يسيرون في الغزوات، ويخوضون المعارك، وتتحقَّق لهم الفتوح التي طالما انتظروها، لينشروا دعوتهم الإسلاميَّة في كلِّ الآفاق، ويعلنوا عن دينهم الحقّ الذي ارتضاه المولى - عزَّوجلَّ - ديناً لكلِّ البشريَّة. وفي مقدِّمة تلك الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النَّبيِّ ﷺ .

(1) غزوة بدر:

المنارة للاستشارات

لقد سجَّل الشِّعر غزوات النَّبيّ ﷺ والوقائع التي دارت بين المسلمين والمشركين، وقد كانت البداية الأولى غزوة بدر التي التقى فيها المسلمون بجحافل قريش، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقتلوا كبار رجالهم، وتركوهم مجندلين في أرض المعركة، حيث قُتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من كبار المشركين الذين تحالفوا على حرب المسلمين، وهو الجانب الذي صوَّره حسَّان بن ثابت ﷺ في قصيدته الرائية التي يقول فيها:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى مكَّةَ الَّذِي	قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّارِ في سَاعَةِ العُسْرِ
قَتَلْنَا سَرَاةَ القومِ عِنْدَ رِحَالِهِمْ	فلم يَرْجِعُوا إلاّ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وعُتْبَةَ بَعْدَهُ	وَشَيْبَةَ أَيْضاً عِنْدَ ثَائِرَةِ الصَّبْرِ[1]
وكم قد قَتَلْنَا من كَرِيمٍ مُرَزَّءٍ	له حَسَبٌ في قومهِ نَابِهِ الذِّكْرِ
تَرَكناهُمُ للخَامِعَاتِ[2] تَنُوبُهم	ويَصْلَوْنَ ناراً ثمّ نائِبَةِ القَعْرِ
بِكُفْرِهِمُ باللهِ والدِّينُ قائمٌ	ومَا طَلَبُوا فِينَا بِطَائِلةِ الوِتْرِ
لَعَمْرِي لقد قَلَّتْ كَتَائِبُ غَالِبٍ	وما ظَفِرَتْ يومَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ
لَقَدْ شَقِيَتْ كَعْبٌ جميعاً وعامرٌ	بأسيافنا يَوْمَ الْتَقَيْنَا على بَدْرِ
قَتَلْنَاهُمُ قَتْلَ الكلابِ فَلَمْ نَدَعْ	لهم في جميع النَّاس يَا صَاحِ مِنْ فَخْرِ

(ديوان حسان, 1983م, 266)

ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشُّعراء يدعوهم إلى التوكُّل على الله، والثِّقة به، ورجاء النصر الذي لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم - عزَ وجلَّ- غير آبهين بالأعداء ولا بكثرة عددهم وعتادهم، وهو ما صوَّره حسَّان ﷺ يوم بدر، عندما لقوا الكفَّار بعزيمة قويَّة، وإرادة عالية، فكان النصر حليفهم، رغم كثرة عدد المشركين، حيث يقول في هذا المعنى:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْماً	وإن كَثُرُوا وأُجْمَعَتِ الزُّحوفُ
إذا ما أَلَّبُوا جَمْعاً عَلَيْنَا	كفانا حدَّهم رَبٌّ رؤوفُ

المنارة للاستشارات

سَمَوْنَا يومَ بدرٍ بالعـالي ... سِرَاعاً ما تُضَعْضِعُنَا الحُتُوفُ

فَلَمْ تَرَ عُصْبَةٌ في النَّاسِ أنكى ... لِمَنْ عَادُوا إِذَا لَقِحَتْ كشُوفُ

ولكنَّا تَوكَّلْنَا وقُلْنَا ... مـآثِرُنَا ومَعْقِلُنَا السُّيُوفُ

لَقِينَاهُمْ بها لمَّا سَمَوْنا ... ونحن عِصَابَةٌ وهُمُ أُلُوفُ

(ديوان حسان, 1983م, 391)

فهذه الأبيات تحمل في دلالتها المعنى العميق لآيات القرآن الكريم في نفس الشاعر، فقد استلهم قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنفال، وأبان عنه في البيت الأوَّل:﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾(الأنفال: 44) (زلط, 1403هـ, 142).

حيث تحمل الأبيات الشِّعرية معاني التَّضحية والفداء، والرَّغبة في الجهاد في سبيل الله صفًّا واحداً، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشِّعريَّة التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوَّة المواجهة بين الجيشين.

وفي وصف غزوة بدر يشير حسان ﷺ إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، وخذل المشركين المعاندين، الذين تكبَّروا وتجبَّروا على دعوة الحقِ، فأمهلهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول:

وَخَبِّرْ بالَّذي لا عَيْب فيهِ ... بِصِدْقٍ غيرِ إِخْبَارِ الكَذُوبِ

بمَا صَنَعَ المَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ ... لنا في المشركينَ منَ النَّصيبِ

غَدَاةَ كأنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ ... بَدَتْ أركَانُهُ جُنْحَ الغُرُوبِ

فَلاَقَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ ... كَأُسْدِ الغابِ مِنْمُرْدٍ وَشِيبِ

أَمَامَ مُحَمَّـدٍ قدْآزَرُوهُ ... عَلى الأعْدَاءِ في وَهْجِ الحُروبِ

بأيديهِمْ صَوارِمُ مُرْهَفَاتٌ ... وكلُّ مجرّب خَاظِي الكُعُوبِ

المنارة للاستشارات

فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صريعاً وعُتْبَةَ قدْ تركنا بالجَبُوبِ

وشيبة قدْ تركنا في رجالٍ ذو يحَسَبٍ إذا انْتَسَبُوا حَسِيبِ

(ديوان حسان, 1983م, 134-135)

حيث أبانت هذه الأبيات عن شدَّة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم، فقد تُركوا مجندلين في أرض المعركة والطَّير تحوم فوقهم في مشهد يدلُّ على بسالة المجاهدين، وتمكُّنهم من أعدائهم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التَّضحية والفداء تتقدَّمان تلك المعركة، وذلك حين تسابق الصَّحابة - رضوان الله عليهم- لحمل السِّلاح ومقاتلة أعداء الإسلام، وذلك سعياً وراء رضوان الله تعالى، وطمعاً بجنَّته التي وعد بها الشُّهداء في سبيله. وحينما قال الرَّسول ﷺ يوم بدر: «والذي نفس محمَّد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنَّة» (ابن هشام, 1375هـ, 627/1)، فقال عُمير بن الحُمام السُّلميﷺ، وكان يأكل تمرات بيده: بخٍ بخٍ، فما بيني وبين أن أدخل الجنَّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ! ثمَّ قذف التَّمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتَّى قُتل، وهو يقول:

رَكْضاً إلى الله بغيرِ زَادِ إلاّ التُّقى وعَمَلِ المَعَادِ

والصَّبْرِ في اللهِ عَلَى الجِهَادِ وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غيرُ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ

(الطبري, 1387هـ, 448/2)

(2) غزوة أحد:

تعدُّ غزوة أحد الموقعة الثانية التي دارت بين المسلمين وكفَّار قريش بالمدينة المنورة، وذلك حين عزم كفار قريش على أن يثأروا لهزيمتهم ببدر، وما أصابهم فيها من الخسائر في الأرواح والأموال وسقوط هيبتهم، حيث بدأوا يعدُّون العدَّة لأخذ الثَّأر من المسلمين، فجمعوا قبائلهم وعشائرهم ومن حالفهم من مكَّة وجوارها وجاءوا قاصدين النَّيل من رسول الله ﷺ في عدد من الرّجال يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين الذين خرجوا وثبتوا لهذه المعركة لا يزيد على الأربعمائة مجاهد، وقد انتهت المعركة لصالح المشركين، حيث استطاع الكفَّار قتل بعض قادة المسلمين، وعلى رأسهم حمزة بن عبد

المنارة للاستشارات

المطَّلب ﷺ ورجع الرَّسول ﷺ بمن معه من الرِّجال إلى المدينة، بينما عادت جحافل الكفَّار ومعهم جرحاهم وبقلوبهم فرحة الثَّأر لقتلاهم في بدر التي حاقت بهم الهزيمة فيها.

وقد كان للشِّعر دوره في غزوة أحد، حيث وصف الشُّعراء ما دار فيها من أحداث ومواقف، ودارت مساجلات بين شعراء المسلمين وشعراء الكفَّار، ورثى الشُّعراء من استشهدوا في تلك الغزوة، وفي مقدِّمتهم حمزة بن عبد المطَّلب ﷺ(زلط, 1403هـ 161).

وأولى هذه القصائد التي نظمها الشُّعراء في تلك الغزوة قصيدة حسَّان بن ثابت ﷺ الَّتي ردَّ فيها على هُبيرة بن أبي وهب المخزومي - شاعر المشركين - الذي خالجه السُّرور والتَّعالي بما حقَّقه قومه في أُحد، وهو ما ظهر في قصيدته التي يقول مطلعها:

سُقْنَا كِنَانةَ مِنْ أَطْرَافِ ذي يَمَنٍ عُرْضِ الْبِلَادِ عَلَى ما كانَ يُزْجِيها

(ابن هشام, 1375هـ 130/3)

فقد ردَّ عليه حسَّان بن ثابت ﷺ بقوله:

سُقْتُمْ كِنَانةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللهِ مُخْزِيها

أَوْرَدْتُمُوها حِيَاضَ المَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُها، والقَتْلُ لاقِيها

أَنتم أَحَابِيشُ جُمِّعْتُمْ بِلا نَسَبٍ أَئِمَّةُ الكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيها

هَلاّ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللهِ إِذْ لَقِيَتْ أَهْلَ القَلِيبِ ومَنْ أَرْدَيْنَهُ فِيهَا

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلا ثَمَنٍ وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيها

(ديوان حسان, 1983م, 205)

حيث يشير حسَّان ﷺ إلى صنيع المشركين وجهلهم، حين ساقوا جيوشهم من بني كنانة لقتال النبي ﷺ والمسلمين وكيف أنهم رجعوا خائبين خاسرين أمام جند الله الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة، بل يشير حسَّان إلى صنيع المسلمين بأسرى بدر الذين أطلقوهم بلا ثمن، ليعلم أولئك عظمة النَّصر الذي حقَّقه المسلمون وعلو مكانته.

أمَّا كعب بن مالك ﷺ فقد أجاب هُبيرة بقصيدة طويلة وصفت ما دار في غزوة أُحد، وما حفلت به الموقعة من شدَّة وضراوة، حيث بدأ قصيدته بوصف مكان المعركة، وأنَّها كانت

المنارة للاستشارات

أرضاً صعبة المسالك وعرة الدُّروب، لا يسلكها إلاّ حمر الوحش أو النَّعام، وقد امتلأت بالجيف من مخلَّفات الوحوش وعظام الفرائس، يقول: (زلط, 1403هـ 163)

أَلا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا ودُونَهُمْ ... مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ[3]

صَحَارٍ وأَعْلامٌ كَأَنَّ قَتَامَها ... مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ[4]

تَظَلُّ بِهِ البُزْلُ العَرَامِيسُ رُزَّحاً ... وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينِ فَيُمْرِعُ[5]

بِهِ جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُها ... كَمَا لاحَ كِتَّانُ التجار المُوَضَّعُ[6]

بِهِ العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفةً ... وبيض نَعامٍ قَيْضُه[7] يَتَقَلَّعُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 222)

ثمَّ يصف كعب ﷺ بطولة المؤمنين الذَّائدين عن دين الله، مذكِّراً المشركين في أُحد بهزيمتهم السَّاحقة التي واجهتهم في بدر، يقول:

مُجَالِدُنَا عَنْ دينِنا كلُّ فَخْمَةٍ[8] ... مُذَرَّبَةٍ فيها القَوَانِسُ تَلْمَعُ[9]

وكلُّ صموتٍ في الصُّوانِ كأَنَّها ... إذا لُبِسَتْ نِهيٌ من الماء مُتْرَعُ[10]

ولكنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ ... من النَّاسِ، والأَنْبَاءُ بالغَيْبِ تَنْفَعُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 223)

ثم يشير كعب ﷺ إلى الاستعداد النَّفسي لتلك الموقعة، وكيف أنّ الكفَّار ضربوا خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها فتشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السُّكوت على ما بدأهم به الكفَّار؟ وكيف لا يتشاورون مع رسول الله ﷺ فيما ينبغي فعله ؟ فقوله الحقُّ، ومن أعرض عن نصحه فقد باء بالخسران، وبعد المشاورة أبان لهم الرَّسول ﷺ أنَّ من كانت نيَّته للجهاد حقيقةً والطَّمع فيما عند الله تعالى فعليه أن يشمِّر لذلك؛ ليظفر بما أعدَّه الله - عزَّ وجلَّ - لعباده المؤمنين الصَّادقين (زلط, 1403هـ 165)، وفي ذلك يقول:

ولَمَّا ابْتَنَوْا بالعِرْضِ[11] قَالَ سَرَاتُنا ... عَلامَ إذا لم نَمْنَع العِرْضَ نَزْرَعُ ؟

وفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لا نَتَطَلَّعُ

تَدَلَّى عليه الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ ربِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ ويُرْفَعُ

نُشَاوِرُهُ فيما نُرِيدُ وقَصْرُنا[12] ... إذا ما اشْتَهى أَنَّا نُطِيعُ ونَسْمَعُ

وَقَالَ رَسُولُ الله لَمَّا بدوا لنا ... ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيَّاتِ واطمعوا

وكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّباً ... إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ ويُرْجَعُ

ولكن خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وتَوَكَّلُوا ... على الله إِنَّ الأَمْرَ للهِ أَجْمَعُ

فَسِرْنَا عليهم جَهْرَةً في رِحَالِهِمْ ... ضُحَيّاً عَلَيْنَا البِيضُ لا نَتَخَشَّعُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 224-225)

ثم يصل كعب ﷺ إلى وصف المعركة وأحداثها، بدءاً من بيان عدد المقاتلين من الطَّرفين، وانتهاءً بما حدث في أرض المعركة من التحام الجيشين، حيث تُسدَّد الطَّعنات، وتُصوَّب الرِّماح، وتهرع الخيول، وتسبح في الفضاء كأنَّها الجراد المنتشر(زلط, 1403هـ 166)، وفي ذلك يقول:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ

ثَلَاثُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ[13] ... ثَلَاثُ مِئِينٍ إِنْ كَثُرْنا وأَرْبَعُ

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي المَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... نُشَارِعُهُمْ[14] حَوْضَ المَنَايَا ونَشْرَعُ

تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فينا وفيهمُ ... وما هُوَ إِلاّ اليَثْرِبِيُّ[15] المُقَطَّعُ

ومَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ[16] ... يُذَرُّ عليها السُّمُّ ساعةَ تُصْنَعُ

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وتَارَةً ... تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ البِصَارِ تُقَعْقِعُ[17]

وخَيْلٌ تَرَاها بالفَضَاءِ كأَنَّها ... جَرَادُ صَباً في قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ[18]

فلَمَّا تَلاقَيْنَا ودَارَتْ بِنَا الرَّحَى ... ولَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ

المنارة للاستشارات

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ[19] كَأَنَّهُمُ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

فَنِلْنَا وَنَالَ القَوْمُ مِنَّا ورُبَّما فَعَلْنَا، ولكنْ ما لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

ودَارَتْ رَحَانَا، واسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ وقَدْ جُعِلُوا كُلٌّ من الشَّرِّ يَشْبَعُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 225-227)

ويختتم كعب ﷺ قصيدته بتعداد صفات جيش المسلمين في أنَّهم يقدمون على الحرب متى كانت دفاعاً عن عرض أو عقيدة وليس لمغنم دنيوي، وأنَّهم تدرَّبوا على الحرب وألفوها، فلا يهابون أعداءهم، ولا يتراجعون في المواجهة، وقد عرفوا آداب القتال فلا يجزعون إن أُصيبوا، فالحرب سجال دائماً، وإن ظفروا بالعدوّ فلا فحش ولا تمثيل بالقتلى أو إذلال للأسرى وإنَّما منهج الإسلام في معاملة المتحاربين والأسرى(زلط, 1403هـ, 168)، حيث يقول كعب واصفاً بطولة ذلك الجيش المسلم:

ونحن أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً عَلَى كلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمارَ[20] ويَمْنَعُ

ولكنَّنا نَقْلِي الفِرَارَ، ولا نَرَى الـ ـفِرَارَ لمن يرجو العَوَاقِبَ يَنْفَعُ

جِلادٌ[21] على ريب الحوادث لا ترى على هَالِكٍ عَيْناً لنا الدَّهرَ تَدْمَعُ

بنُو الحَرْبِ لا نَعْيَا بشيءٍ نَقُولُه ولا نحنُ ممَّا جَرَّتِ الحَرْبُ نَجْزَعُ

بنُو الحَرْبِ إن نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ ولا نحنُ مِنْ أَظْفَارِها نَتَوَجَّعُ

وكُنَّا شِهَاباً يتَّقي النَّاسُ حَرَّهُ ويَفْرُجُ عنهُ من يليهِ ويُسْفَعُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 227-228)

وبينما كانت المعارك تدور بين المسلمين والمشركين فقد كان هناك من يفخر من المشركين بما تحقَّق في غزوة أحد ناسياً صنيع المسلمين في بدر، ومن أولئك الشُّعراء عبد الله بن الزِّبعرى[22] الذي افتخر في إحدى قصائده التي يقول فيها:

يا غُرَابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّما تَنْطِقُ شَيْئاً قد فُعِلْ

كَمْ قَتَلْنَا من كَرِيمٍ سَيِّدٍ ماجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ

المنارة للاستشارات

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

(الجبوري,1398هـ 41-42)

فانبرى له حسَّان بن ثابت ﷺ يردّ عليه، ويبيّن له أنّ الحرب سجال بين الطّرفين، وأنّ المسلمين قد نالوا من المشركين في أحد كما نال المشركون منهم، مذكّراً إيّاه بما لاقوه من الهزيمة في ((بدر))، وكيف قتل سادتهم، وهرب فرسانهم في تلك الموقعة، وباءوا بالخزي والخذلان، حيث يقول حسّان ﷺ:

ذَهَبَتْ بابْنِ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فيها لو عَدَلْ

ولقد نلتم ونلنا منكمُ وكَذَاكَ الحَرْبُ أحياناً دُوَلْ

نضعُ الأَسْيَافَ في أَكْتافِكُمْ حيثُ نَهْوِي عَلَلاً بعد نَهَلْ

إِذْ تُولُّون عَلَى أَعْقَابِكُمْ هُرَّباً في الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ[23]

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صادقةً فأجأناكم إلى سَفْحِ الجَبَلْ

وعَلَوْنَا يَوْمَ (بَدْرٍ) بالتُّقَى طَاعةِ اللهِ، وتَصْدِيقِ الرُّسُلْ

وتَرَكْنا في قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ المَثَلْ

(ديوان حسان, 1983م, 93-94)

أمَّا كعب بن مالك ﷺ فيردُّ في قصيدته اللاميَّة على كلّ من تطاول على المسلمين من شعراء قريش، ويوضّح لهم أنَّه إذا كان هناك من قادة المسلمين من قُتل في (أُحد)، وهو ما أفرح المشركين وشعراءهم فإنَّ عليهم أن يعودوا بذاكرتهم إلى ما أصابهم في (بدر)، وما واجهوه من صور البطولة والتَّضحية التي أبداها المسلمون(زلط, 1403هـ 170)، حيث يقول:

أَبْلِغْ قُرَيْشاً وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ والصِّدْقُ عندَ ذَوِي الأَلْبَابِ مَقْبُولُ

أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بقتلانا سَرَاتَكُمُ أَهْلَ اللّواءِ، ففيم يكثرُ القِيلُ؟

ويومَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مع النَّصر مِيْكَالٌ وجبريلُ

المنارة للاستشارات

إنْ تَقْتُلُونا فَدِينُ اللَّهِ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ في الحقِّ عند اللهِ تَفْضِيلُ

وإنْ تَرَوْا أَمْرَنا في رأيكُم سَفَهاً ... فَرَأْيُ مَنْ خَالَفَ الإسلامَ تَضْلِيلُ

فَلَا تَمَنَّوْا لِقَاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدُوا ... إنَّ أَخَا الحَرْبِ أَصْدَى اللونِ

إنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْباً تَرَاحُ لَهُ ... عُرْجُ الضِّباعِ له خَذْمٌ رَعَابِيلُ[25]

إنَّا بنُو الحَرْبِ نَمْرِيها ونَنْتُجُها ... وعندنا لِذَوِي الأَضْغَانِ تنكيلُ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 255-256)

وكما يظهر فقد أثَّرت غزوة أُحد في نفوس الشُّعراء في عهد النَّبيّ ﷺ، ودعتهم إلى التَّجاوب معها، والتَّعبير عن مواقفها وأحداثها، والتَّصدّي لمن حاول الإساءة للنَّبيّ ﷺ وللمسلمين، وهو ما قام به شعراء المشركين بعد الموقعة، الأمر الذي دعا شعراء المسلمين إلى الرَّدّ عليهم، وكشف أكاذيبهم وتخرُّصاتهم، وبيان أثر الإسلام في كلّ ما تحقَّق للمسلمين من عزَّة ومنعة.

(3) غزوة الخندق:

في السَّنة الخامسة للهجرة تجمَّعت قوى الشِّرك لمحاربة النَّبيّ ﷺ والمسلمين بالمدينة، وتزعَّم أبو سفيان تلك الجموع من القرشيِّين ومن والاهم من غطفان والقبائل المجاورة، ويأتي الجميع إلى المدينة المنوّرة قاصدين القضاء على الإسلام بجحافلهم وعدَّتهم الحربيَّة التي لم يكن للمسلمين قِبَل بها، ولم يكتفوا بذلك بل تعاهدوا مع يهود بني قريظة في حصونهم حول المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

ولمَّا علم رسول الله ﷺ بتآمرهم وتحزُّبهم جمع المسلمين وأعلمهم ما عزم عليه أبو سفيان ومَنْ والاه من غطفان واليهود، وتشاور معهم، وانتهت مشورتهم بحفر خندق حول المدينة حتَّى يمكنهم التَّحصُّن فيها، فإذا دهمهم العدوّ نالوه ولا ينالهم، وبدأ المسلمون حفر الخندق، وكان الرَّسول ﷺ يعاونهم في حفره ويشدّ من عزيمتهم، ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الأجر(زلط, 1403هـ 194)، حتى إذا اكتمل حفر الخندق جاءت فلول المشركين التي تجمَّعت من قبائل عدَّة، وتحزَّبت لحرب المسلمين، يقودهم إلى ذلك طمعهم واستكبارهم وعتوهم، حيث نزلوا بجانب أُحُد(ابن هشام, 1375هـ 2/216-217)، وهناك ظهر لهم المسلمون الذين كان عددهم يقدَّر بثلاثة آلاف، والخندق يفصل بين الفريقين،

المنارة للاستشارات

فخرج من بين صفوف المشركين عمرو بن ود العامري - وكان مُعْلَماً - وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرج له من المسلمين عليُّ بن أبي طالب ﷺ وقال له: يا عمرو إنَّك عاهدتَ الله ألاّ يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتين إلاّ أخذتها منه، فقال له: أَجَلْ، فقال له عليٌّ: فإنّي أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فو الله ما أُحبُّ أن أقتلك، فقال له عليٌّ: لكنّي والله أُحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثمّ أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليٌّ ﷺ وخرجت خيلهم منهزمة، حتَّى اقتحمت من الخندق هاربةً(ابن هشام, 1375هـ 225/2).

وقد وصف عليٌّ ﷺ ذلك الحدث والموقف الشُّجاع الَّذي أبان عن قوَّة المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام في أبيات شعريَّة، قال فيها:

نَصَرَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ	ونَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
فَصَدَدْتُ حين تَرَكْتُه مُتَجَدِّلاً	كالجِذْعِ بينَ دَكَادِكٍ ورَوَابِي[26]
وعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ ولَوَ انَّنِي	كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي[27]
لا تَحْسَبَنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ	ونَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ

(ابن هشام, 1375هـ 225/2)

وقد شكَّك ابن هشام في نسبة هذه الأبيات لعليّ بن أبي طالب ﷺ (ابن هشام, 1375هـ 225/2).

ولم يكن تحزُّب الأعداء واتِّحادهم لحرب المسلمين أمراً يثير الهيبة أو الخوف في قلوب المجاهدين، الذين نذروا أنفسهم للدِّفاع عن عقيدتهم، ونصرة نبيِّهم ﷺ حيث لقاء الأعداء هو لقاء الشَّجاعة، والنُّصرة، والتَّضحية لقوم دَرِبوا على القتال، وعَلَّموا أنفسهم في الحرب حتَّى أصبحوا ظاهرين للنَّاس جميعاً، وكأنَّهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عن رسالتهم الخالدة... (زلط, 1403هـ 196)وهي المعاني التي أشار إليها كعب بن مالك ﷺ في قصيدته التي قالها يوم الخندق، حيث قال:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ	بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ[28]
فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيوفُها	بينَ المِذَادِ وبينَ جِزْعِ الخَنْدَقِ[29]

المنارة للاستشارات

دَرِبُوا بِضَرْبِ المُعْلِمِينَ[30] وأَسْلَمُوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ المَشْرِقِ

فِي عُصْبَةٍ نَصَرَ الإِلَهُ نَبِيَّهُ بِهِمُ، وكَانَ بِعَبْدِهِ ذَا مَرْفَقِ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 244)

ويمضي كعب ﷺ في قصيدته إلى وصف السِّلاح، فيصوّر الدُّروع تحكي حلقاتها في سردها المحكم وشكلها الموثَّق أحداق الجنادب، فهي مستديرة الحلق، تشمّرها للحرب حمائل السُّيوف الصَّارمة، حيث يقول:

فِي كلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُها كَالنِّهْيِ[31] هَبَّتْ رِيحُه المُتَرَقْرِقِ

بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَها حَدَقُ الجَنَادِبِ ذَاتَ شَكٍّ مُوْثَقِ[32]

جَدْلاء يَحْفِزُها نِجَادُ[33] مُهنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا يَوْمَ الهِيَاجِ وكُلَّ سَاعَةِ مَصْدَقِ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 245)

والبيت الأخير يصوّر أهمّيَّة التّقوى والإيمان في الحروب التي يخوضها المسلمون؛ إذ ليس من طبعهم أن يركنوا إلى العدَّة المادِّيَّة دون أن يدَّخروا في نفوسهم زاد التَّقوى الذي يوصلهم إلى غايتهم الكبرى التي يبتغونها من وراء نصرتهم للإسلام.

أمَّا الإعداد للمعركة- وهو الجانب الذي أُمر به المسلمون وهم يواجهون أعداءهم- فيشير إليه كعب بن مالك من خلال إعداد الخيول الأصيلة المضمَّرة، التي تصعد بفرسانها إلى حلبة القتال، وتمكّنهم من اصطياد أعدائهم،والظَّفر عليهم، يقول:

ونُعِدُّ للأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ وَرْدٍ ومَحْجُولِ القَوَائِمِ أَبْلَقِ[34]

تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ عِنْدَ الهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ[35]

صُدُقٌ يُعَاطُونَ الكُمَاةَ حُتُوفَهُمْ تَحْتَ العَمَايَةِ بالوَشِيجِ المُزْهِقِ[36]

أَمَرَ الإِلَهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الحَرْبِ، إِنَّ اللهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ

لِتَكُونَ غَيْظاً لِلْعَدُوِّ وحُيَّطاً للدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُول الزُّنَّقِ[37]

ويُعِينُنَا اللهُ العَزِيزُ بِقُوَّةٍ ... مِنْهُ، وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةَ نَلْتَقِي

ونُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا ونُجِيبُه ... وإِذَا دَعَا لِكَرِيهَةٍ لم نُسْبَقِ

ومَتَى يُنَاد إلى الشَّدَائِدِ نَأْتِهَا ... وَمَتَى نَرَ الحَوْمَاتِ[38] فيها نُعْنِقِ

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 246-247)

وفي هذه الموقعة تظهر أكثر من قصيدة شعريَّة وهي تنافح عن المسلمين، وتردُّ عادية الأعداء، ومن تلك القصائد قصيدة حسان بن ثابت ﷺ التي تصدَّى فيها للرَّدِّ على شاعر الكفَّار آنذاك عبد الله بن الزِّبعرى الذي أخذ يفتخر بموقف قومه يوم الخندق، ويتطاول على المؤمنين، وذلك في قصيدته البائيَّة[39]. حيث نظم حسَّان بائيَّته التي يردُّ فيها على ابن الزِّبعرى، ويبيّن له الهدف البائس الذي جاءوا من أجله وهو قتل النبي ﷺ والاستيلاء على الغنائم، ولكنهم لم يظفروا من ذلك بشيء، يقول حسَّان:

حتَّى إِذَا وَرَدُوا المدينةَ وارْتَجَوْا ... قَتْلَ النَّبِيِّ وَمَغْنَمَ الأَسْلابِ

وغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ ... رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ عَلَى الأَعْقَابِ

بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ ... وجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الأَرْبَابِ

وكَفَى الإِلَهُ المؤمنينَ قِتَالَهُمْ ... وأَثَابَهُمْ في الأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ

(ديوان حسان, 1983م, 120)

ومن شعراء المشركين من ظلَّ يتوعَّد بعد هزيمة الخندق، ويعد بردِّ قاسٍ في موقعة لاحقة يصطف منها جيش المشركين لمنازلة المسلمين، وذلك ما يعبّر عنه شاعرهم ضرار بن الخطَّاب[40] الذي رأى أنَّ المعركة لم تنته بعد، وأن المنازلة ستكون قريبة، حيث يعبّر عن ذلك في قصيدته النونيَّة التي قال فيها:

ومُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بنا الظُّنونَا ... وقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[41]

وسوفَ نَزورُكم عَمَّا قَرِيبٍ ... كَمَا زُرْنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَا

بِجَمْعٍ مِن كِنَانَةَ غير عُزْلٍ ... كَأُسْدِ الغَابِ قد حَمَتِ العَرِينَا

(ابن هشام, 1375هـ, 2/254-255)

المنارة للاستشارات

لكنَّ كعب بن مالك ﷺ يردُّ على ضرار بن الخطَّاب، ويوضِّح له طبيعة القتال معه، وأسباب النَّصر التي تنزل عليهم من خالقهم، فهم يسعون إلى رفع راية الإسلام، يتقدَّمهم النَّبيُّ ﷺ الذي دعاهم إلى دين الهدى والحقِّ، وحثَّهم على الصَّبر واليقين في مواجهة الأعداء، حيث قال:

وسَائِلَةٍ تُسائلُ ما لَقِينَا	ولو شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا
صَبَرْنَا لا نَرَى لِلَّهِ عِدْلاً[5]	عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا
وكانَ لنا النَّبيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ	بِهِ نَعْلُو البَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وعَقُّوا	وكانوا بالعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا[42]
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا	بِضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعِينَا
وفي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ	بِهَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاغِبِينَا[43]
بِبَابِ الخَنْدَقَيْنِ كأَنَّ أُسْداً	شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ العَرِينَا
لِنَنْصُرَ أَحْمَداً واللَّهَ حتَّى	نكونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا
ويَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا	وأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا
بأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ	وأنَّ اللهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينَا

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 279-280)

وقد أراد الرَّسول ﷺ أن يُؤمِّن المدينة وحدودها بعد موقعة الخندق مع قريش وبخاصَّة من الفتنة التي كان يوقد جذوتها يهود بني قريظة وبني النَّضير، الذين اشتركوا في موقعة الخندق مع قريش، وقصدوا إثارة الفتنة بين النَّاس في المدينة أثناء الموقعة، حيث نقضوا عهود الأمان التي أبرمها المسلمون، ولجأوا للغدر والمكيدة، لأجل ذلك وجَّه النَّبيُّ ﷺ جيشه لمحاربتهم، حيث حاصرهم في حصونهم، وانتصر عليهم، وباءت كل مكائدهم بالفشل، ونالوا جزاء ما كانوا يفعلونه مع المسلمين من الإخلاف بالعهد والتَّحالف مع المشركين، يقول حسَّان ﷺ:

المنارة للاستشارات

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاءَها وحَلَّ بِحِصْنِها ذُلٌّ ذَلِيلُ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حَتَّى غَزَاهُمْ فِي دِيَارِهِمُ الرَّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ لَهُ مِنْ حَرِّ وَقْعَتِهَا صَلِيلُ
وَصَارَ المؤمنون بِدَارِ خُلْدٍ أَقَامَ لَهُمْ بِهَا ظِلٌّ ظَلِيلُ

(ديوان حسان, 1983م, 245)

(4) غزوة مؤتة:

كانت غزوة مؤتة - في السَّنة الثَّامنة للهجرة - أوَّل معركة تقع بين جيش المسلمين وجيش الرُّوم الذين وصلتهم الأخبار عن قوَّة ذلك الجيش المسلم، وكان سبب هذه الغزوة أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير (بصرى) من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمَّر الغسَّاني، فلمَّا نزل مؤتة تعرَّض له شرحبيل بن عمرو الغسَّاني وقتله، فلمَّا بلغ الأمر رسول الله ﷺ اشتدَّ ذلك عليه، وجهَّز جيشاً لمقاتلة ملوك الرُّوم (الوكيل, 1408هـ 237). وقد أمر ﷺ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين، وندب النَّاس وقال لهم: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على النَّاس، فإنْ أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على النَّاس، فإنْ قتل ابن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم(ابن هشام, 1375هـ 273/2). والتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الرُّوم - الَّذي كان يقدَّر عدده بمائتي ألف مقاتل - في مكان يقال له مؤتة، فقاتل زيد بن حارثة ﷺ براية رسول الله ﷺ حتَّى قُتِل في رماح القوم، ثمّ أخذ الرَّاية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فقاتل بها حتَّى إذا ألحمه القتال، وأحاط به العدو من كل جانب، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها حتى لا تقع في يد العدوّ، ثم أقبل يقاتل وهو يردّد أبياتاً تحمل معاني الشَّجاعة والبسالة والتَّضحية في ما عند الله من النَّعيم والرِّضوان، ودخول الجنان، فهو يقاتل ابتغاء ما عند الله، والجنة عنده أسمى مطلوب، وفي ذلك يقول ﷺ:

يا حَبَّذَا الجنَّةُ واقْتِرَابُها طَيِّبةً وبَارداً شَرَابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دَنَا عَذَابُها كَافِرَةٌ بعيدةٌ أَنْسَابُها
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُها ضِرَابُها

المنارة للاستشارات

(ابن هشام, 1375هـ 378/2)

ثمَّ قاتل حتَّى قُتل ﷺ .

ثمّ أخذ الرَّاية من بعده عبد الله بن رواحة ﷺ فتقدَّم يقاتل الرُّوم، فداخل نفسه شيء من روع لا يخلو منه الموقف، فجعل يحفِّز نفسه ويشدُّ من عزيمتها، وهو يردِّد بعض الأبيات الشِّعريَّة التي يقول فيها:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّةْ[44] مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّةْ

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّةْ

(ديوان عبد الله بن رواحة, 1408هـ, 153)

ثمَّ تقدَّم يقاتل، فأُصيبت إصبعه، فارتجز قائلاً:

هَلْ أَنْتِ إِلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

يَا نَفْسُ إِلا تُقْتَلِي تَمُوتِي هذا حِيَاضُ المَوْتِ قد صَلِيتِ

وما تَمَنَّيْتِ فقد لَقِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

وإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

(ديوان عبد الله بن رواحة, 1408هـ, 154)

فقاتل حتَّى قُتل ﷺ.

ومن القصص التي تروي صور البطولة والإقدام في حياة الشَّاعر عبد الله ابن رواحة ﷺ تلك التي رواها ابن هشام. إذ يروي أنَّ رسول الله ﷺ حين جهَّز جيش المسلمين لملاقاة الرُّوم، وكان ابن رواحة القائد الثالث للمعركة إن استشهد سابقاه، وهما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فلمَّا وُدِّع عبد الله من رسول الله مع من وُدِّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صبابة بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- يذكر فيها النَّار ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**﴾(مريم: 71)، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون: صَحِبَكُم الله، ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين(ابن هشام, 1375هـ

المنارة للاستشارات

274-273/2)، ثم أنشد ابن رواحة أبياتاً يعبّر فيها عمَّا في نفسه وهو يسير في الجهاد راجياً مغفرة ربّه ورضوانه، والفوز بالشَّهادة في سبيله، إذ قال:

لكنَّني أَسْأَلُ الرَّحمنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[45]

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدَا[46]

حَتَّى يُقَالُ إذا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

(ديوان عبد الله بن رواحة, 1408هـ, 147)

وكان المسلمون لَمَّا نزلوا (مَعَان) من أرض الشَّام هالهم ما رأوا من كثرة عدد الرُّوم وما يملكونه من عتاد، وبدأوا يفكّرون في ذلك، وهل يرسلون إلى الرَّسول ﷺ يخبرونه بذلك أم لا ؟ فقام عبد الله بن رواحة ﷺ يشجّعهم ويستحثُّهم على القتال، مبيّناً لهم أنَّ النَّصر لا يتحقَّق عن كثرة العدد أو العُدَّة وإنَّما يتحقَّق بالصَّبر والمصابرة والطَّاعة والإخلاص في إعلاء راية الإسلام، وهزيمة المشركين، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء وهو يرجو الظَّفر بإحدى الحسنيين، إمَّا النَّصر وإمَّا الشَّهادة في سبيل الله(ابن هشام, 1375هـ 275/2). فتشجَّع النَّاس وقالوا: قد -والله - صدق ابن رواحة، وأنشد في ذلك الموقف يقول:

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وفَرْعٍ[47] ... تُغَرُّ من الحَشِيشِ لها العُكُومُ[48]

حَذَوْنَاها مِنَ الصَّوَّانِ سَبْتاً ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ[49]

أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مَعَانٍ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِها جُمُومُ[50]

فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ[51] ... تَنَفَّسُ في مَنَاخِرِها السُّمُومُ

فلا وأبي مآبَ[52]لِنَأْتِيَنْهَا ... وإنْ كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُومُ

فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَها فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ، والغُبارُ لها بَرِيمُ[53]

بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فيهِ ... إذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ[54]

فَرَاضِيَةٌ[55] المَعِيشَةِ طلَّقَتْهَا ... أَسِنَّتُها، فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ

(ديوان عبد الله بن رواحة, 1408هـ, 149-150)

المنارة للاستشارات

وفي ليلة السَّفر إلى مؤتة، وبينما كان الطَّريق طويلاً وشاقّاً، كان عبد الله ابن رواحة ﷺ يستغرق في الأمل بالشَّهادة والفوز برضوان الله - عزَّوجلَّ - إذ ذهب يناجي ناقته، ويبشّرها بتحريرها من الأسفار، فلا عودة إلى بلاد النَّخيل، لأنَّه عزم في قرارة نفسه على شدِّ الرِّحال إلى جوار ربِّه- جلَّ وعلا - حيث يقول:

إِذَا أَدَّيْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي	مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ[56]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ، وَخَلاكِ ذَمٌّ وَلا	أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وجَاءَ المُسلمون وغادَرُوني	بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَدَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	إِلَى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ[57]	ولا نَخْلٍ أَسَافِلُها رِوَاءِ

(ديوان عبد الله بن رواحة, 1408هـ, 151)

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تعلُّق الشَّاعر بالشَّهادة، والسَّير لأجلها على راحلته، التي بلغته رحلته المأمولة، ولقي ما كان يرجوه من الاستشهاد في سبيل الله، والفوز برضوانه - عزَّوجلَّ - وهي صورة مؤثّرة تعكس روح التَّضحية والفداء التي قدَّمها أولئك المجاهدون في تلك الغزوات.

(5) فتح مكَّة:

كانت الإرهاصات لهذا الفتح المجيد منذ وقت مبكِّر، ففي نهاية العام السادس للهجرة عزم النبيّ ﷺ أن يدخل مكَّة معتمراً، فاستنفر المؤمنين بالمدينة ليخرجوا معه، فلمَّا شعر أهل مكَّة بقدومه أرسلت إليه قريش تستطلع الأمر أقتال أم عمرة، فلمَّا علموا بحقيقة الموقف أخذتهم العزَّة بالإثم، وطلبوا عقد هدنة مع النبي ﷺ والمسلمين تقضي بأن يكف عنهم القتال لعشرة أعوام وأن يرجع إلى المدينة عامهم هذا، فإذا انصرم جاء ومن معه من المسلمين معتمرين في العام القابل، وبعد عودته ﷺ إلى المدينة جرت أحداث كثيرة نقض المشركون خلالها الهدنة وأغاروا على (خزاعة) الداخلة في عهد رسول الله ﷺ، فجهَّز -عليه السلام- الجيش المؤمن وقاده إلى مكَّة، وحمل علي بن أبي طالب ﷺ اللواء، وفتحت مكَّة ودخلها رسول الله ﷺ ومن معه وكان ذلك نصراً عظيماً للمسلمين(زلط, 1403هـ, 221-222).

وقد واكب الشِّعر ذلك الفتح، وأشاد الشُّعراء بما تحقَّق للمسلمين في هذا الفتح من عزٍّ ومنعة ونصر للإسلام، حيث أظهرت القصائد الشِّعريَّة قدرة جيش المسلمين على الفتح، وتمكين الله تعالى لهم. ومن ذلك ما يظهر في قول بُجير بن زهير[58] حين يصف هذا الفتح، ويشير إلى الطريقة التي التقى فيها الجمعان، جيش المسلمين بعزيمته وصبره وتوكله على الله تعالى، وجيش الكفر بتخاذله وانكساره، فكانت الصَّيحات والطِّعان وقفزات خيل المؤمنين معبرةً عن الفرح بنصر الله، فقد أنهال المؤمنون على خصومهم ضرباً بالسُّيوف، وطعناً بالرِّماح، حتَّى تحقَّق لهم ما كانوا يأملون فيه من الهجرة، وباء الكفَّار بالهزيمة والخسران، وفي ذلك يقول بُجير:

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّ ... بيِّ الخَيْرِ بِالبِيضِ الخِفَافِ

صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ[59] مِنْ سُلَيْمٍ ... وأَلْفٍ مِن بَنِي عُثْمَانَ وَافِ

نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْباً وطَعْناً ... وَرَشْقاً بالمرَيَّشَةِ اللِّطافِ[60]

تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفاً ... كَمَا انصَاعَ الفُوَاقُ مِنَ الرَّصَافِ[61]

فَرُحْنَا والجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ ... بأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ

فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا ... وآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الخِلَافِ

وأَعْطَيْنَا رَسُولَ الله مِنَّا ... مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي

وقد سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا ... غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

ويتوقَّف العبَّاسُ بن مرداس السُّلمي[62]ﷺ عند فتح مكَّة بعد أن اشترك مع قومه من بني سُلَيْم في ذلك الفتح، حيث يبيّن في إحدى قصائده القوَّة العدديَّة لقومه الذين شاركوا تحت إمرة النَّبيّ الكريم ﷺ موضِّحاً ما كانوا عليه من الإقدام، والبسالة، والتَّضحية من أجل تحقيق النَّصر، حيث يقول:

مِنَّا بِمَكَّة يومَ فَتْحِ محمَّدٍ ... أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ البِطَاحُ[63] مُسَوَّمُ

نَصَرُوا الرَّسُولَ، وشَاهَدُوا أَيَّامَهُ ... وشِعَارُهُمْ[64] يومَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ

في مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ... ضَنْكٍ كَأَنَّ الهَامَ فيهِ الحَنْتَمُ[65]

المنارة للاستشارات

جَرَّتْ سَنَابِكَها بِنَجْدٍ قَبْلَها حتَّى اسْتَقَادَ لها الحِجَازُ الأَدْهَمُ

اللَّـهُ مَكَّنَهُ لَـهُ وأَذَلَّهُ حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وجَدٌّ مِزْحَمُ[66]

عَوْدُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ[67]عِرْنِينُهُ مُتَطَلِّعٌ ثغرَ المكَارِمِ خِضْرِمُ

(ابن هشام, 1375هـ 2/426-427)

ويصف العبَّاس بن مرداس ﷺ طريقة الجيش الفاتح في السير إلى الجهاد، وكيف أنهم يسيرون تحت إمرة النبي الكريم ﷺ ويطيعونه فيما أمر، ويجتنبون ما نهى عنه، الأمر الذي حقَّق لهم الفلاح، وأخضع الأقوام للدخول في دين الله، وفي ذلك يقول:

فَمَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامَ أنَّ محمَّداً رَسُولُ الإلهِ راشِدٌ حَيْثُ يمَّمَا

دَعَا ربَّه واستنصرَ اللهَ وَحْدَه فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إليه وأَنْعَمَا

سَرَيْنَا ووَاعَدْنَا قَدِيداً محمَّداً يَؤُمُّ بنا أمراً من اللهِ مُحْكَمَا

تَمَارُوا بِنَا في الفَجْرِ حَتَّى تبيَّنوا مع الفجر فتياناً وغاباً مُقَوَّمَا

فإنَّ سَرَاةَ الحيِّ إن كنتَ سائلاً سُلَيْمٌ وفيهم منهمُ مَن تَسَلَّمَا

وجُندٌ مِنَ الأَنْصَارِ لا يَخْذُلُونَه أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَه ما تَكَلَّمَا

(ابن هشام, 1375هـ 4/110-111)

وبعد الفتح الإسلامي وما أدخله من فرح في النُّفوس توجَّه المسلمون بقيادة الرَّسول ﷺ إلى الطَّائف لدعوة أهلها إلى الدُّخول في الإسلام، وبيان موقفهم منه، وكان مع الرَّكب المتَّجه إلى الطَّائف كعب بن مالك ﷺ الَّذي نظم قصيدته في وصف المعارك التي خاضها جيش المؤمنين، وقد تكلَّلت بالنَّصر المؤزّر، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجاً حتى وصل ذلك الجيش إلى الطائف(زلط, 1403هـ 239)، ليكمل رسالته في نشر الدَّعوة الإسلاميَّة، حيث يقول كعب في مطلع قصيدته:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وخَيْبَرَ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا[68]السُّيُوفَا

نُخَبِّرُهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

المنارة للاستشارات

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ[69] إِنْ لَمْ تَرَوْها ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا

وَنَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ (وَجٍّ)[70] ... وتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنَّا خُلُوفَا

وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفاً

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتُوفَا

كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَا[71]

تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فيها ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً[72] مَدُوفَا

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 134-135)

وبعد هذه المقدّمة التي أبان فيها كعب ﷺ عمَّا صنعه المسلمون مع أعداء الدَّعوة الذين لم يستجيبوا لنداء الحقّ، انطلق بعد ذلك إلى إنذار المشركين بما ينتظرهم من سوء العاقبة إن لم يتَّبعوا الطَّريق الحقّ، وإشهادهم بأنَّهم قادمون، فمن آثر السَّلام فليسلم بما جاء به المصطفى ﷺ ليعيش عيشة راضيةً، ومن لم يسلم، أو تحدّثه نفسه بالموادعة، فليتحمَّل وزره ووزر من اتَّبعه، أو استجاب لنصحه(زلط, 1403هـ 240)، حيث ينطلق كعب في هذا المعنى فيقول:

أَجِدَّهُمُ أَلِيسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا[73]

يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا[74]

وأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا

رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وكَانَ صلباً ... نَقِيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا

رَشِيدَ الأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْمٍ لم يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا

نُطِيعُ نَبِيَّنَا ونُطِيعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحمنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا

فَإِنْ تُلْقُوْا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... ونَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا[75]

وإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ ونَصْبِرْ ... ولا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا

المنارة للاستشارات

نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الإسلامِ إِذْعَاناً مُضِيفَا[76]

نُجَاهِدُ لا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا أَأَهْلَكْنَا التِّلادَ أَم الطَّرِيفَا

لأَمْرِ اللَّهِ والإِسْلامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا

(ديوان كعب بن مالك, 1966م, 235-237)

فقد أبان كعب ﷺ في هذه الأبيات عن السَّبب في المضيّ إلى الجهاد وتحقيق الانتصارات وهو الدَّعوة إلى الإسلام والدُّخول فيه، وإخراج النَّاس من دياجير الشِّرك والضَّلال إلى أنوار الهداية والإيمان، لذا كانت هذه الدَّعوة هي السِّمة البارزة في شعر الغزوات، حيث أبان الشُّعراء في كثير من قصائدهم عن حرصهم على دخول النَّاس في هذه الدَّعوة المباركة، والاستنارة بنور الإسلام، كي يتفيَّؤا ظلاله، وينعموا بسماحته وعدله.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على أفصح العرب قاطبة سيِّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد سارت هذه الدِّراسة في تتبُّع شعراء غزوات النَّبيّ ﷺ، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام، ومنافحة خصومه، والتَّصدِّي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدَّعوة الإسلاميَّة.

وقد اشتملت هذه الدِّراسة على مبحثين أساسين، أحدهما بعنوان: (الشِّعر في مواكبة الغزوات)، وفيه عرض البحث لغزوات النَّبيّ ﷺ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتَّسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه. وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين، ولكنَّهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران. وفي غزوة (مؤتة)

المنارة للاستشارات

وقف الشِّعر يستنهض الهمم، ويقوّي العزائم، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله. وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء، حيث مجَّد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته، وأهمِّيَّته للمسلمين.

أمَّا المبحث الثَّاني فكان بعنوان: (القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات) وفيه تناولت الدِّراسة ما اتَّسم به ذلك الشِّعر من قيم فنِّيَّة في جانب اللُّغة الشِّعريَّة، والصُّورة الفنِّيَّة، وبيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات.

أهم النتائج :

1. براعة الشِّعر الإسلامي في جانب الغزوات وظهوره بشكل ملموس .
2. مواكبة شعر الدعوة الإسلاميَّة للغزوات التي قادها المسلمون في عهد النبي ﷺ .
3. اشتمال ذلك الشِّعر على معاني الحماسة والجهاد في سبيل الله والحض على نصرة الدين .
4. العاطفة الدينية متوقدة في ذلك الشِّعر حيث ظهر أثرها في إذكاء الهمم وتقوية العزيمة لدى المجاهدين وحضهم على نصرة الدين .
5. تنوُّع المعجم الشِّعري واشتماله على المفردات والتَّراكيب التي تعبِّر عن معاني الجهاد في سبيل الله واذكاء العزيمة في نفوس المجاهدين، وظهر تجليًا فصاحة الكلمة وسلاسة العبارة وكثرة مفردات القاموس الاسلامي .

أهم التوصيات :

كما توصي الدراسة الباحثين بتناول موضوعات الحماسة في شعر الجهاد في عصر النبي ﷺ وتناول الجوانب الفنية في شعر النُّبوة والخلفاء الراشدين؛ لما اشتملت عليه من قيمٍ فنِّيَّة تأثَّرت بالقرآن والحديث والمعاني الإسلامية الَّتي عرفت مع بعثة النبي ﷺ وهو مايبرز بوضوح أثر الإسلام في الشعر.

هذا وأسأل الله تعالى التَّوفيق والسَّداد، وأستمدُّ منه العون والتَّأييد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الهوامش:

(1) عُتْبَةُ وشَيْبَة: ابنا ربيعة بن عبد شمس من كبار قريش وساداتها، وقد قُتلا في بدر.

المنارة للاستشارات

(2) الخَامِعَاتُ: الخَامِعَةُ الضَّبُعُ، سُمِّيت كذلك لأنَّها تَخْمَع إذا مشت. (انظر: ابن منظور, د.ت. 79/8).
(3) الخرق: الفلاة التي تنخرق فيها الرِّيح. ومتنعنع: مضطرب.
(4) الأعلام: الجبال المرتفعة. والقتام: ما مال لونه إلى السَّواد.
(5) البُزْل: جمع بازل وهو البعير القويّ. والعِرْمِسُ: النَّاقة الشَّديدة. ويمرع: يخصب.
(6) الصَّليب: ودك العظام. والموضَّع: المبسوط والمنقوش.
(7) العِينُ: البقر الوحشي. الآرام: الظِّباء. القيض: قشر البيض الأعلى.
(8) قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جِذْمنا كل فخمة. فقال رسول الله ﷺ: أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا. (انظر: ابن هشام, 1375هـ 136/2).
(9) مجالدُنا: مدافعنا. والفخمةُ: الكَتيبةُ العظيمة. المُذَرَّبَةُ: المتعودةُ على القتال الماهرة فيه.
(10) الصَّمُوتُ: الدِّرع. الصوانُ: كل ما يُصان فيه الشَّيءُ، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. النِّهيُ: الغديرُ. ومُتْرَعٌ: أي: مملوءٌ ماءً.
(11) العِرض: موضع خارج المدينة. وكلُّ وادٍ فيه شجر فهو عِرض.
(12) قَصْرُنَا: غايتنا ونهاية أمرنا.
(13) النَّصِيَّةُ: الخيارُ من القوم.
(14) نُغَاورهم: أي نغير عليهم. ونُشَارعهم: أي نشاربهم.
(15) اليَثْرِبِيُّ: الأوتار، نسبةً إلى يثرب.
(16) المنجوفةُ: السِّهامُ المثقَّفة. والحرميَّةُ: نسبةً إلى أهل الحرم. والصَّاعديَّةُ: نسبة إلى صاعد، وهو صانع معروف.
(17) تَصُوبُ: تقع. والبِصَارُ: الحجارةُ اللينةُ. وتُقعقعُ: تُصَوِّت.
(18) الصَّبَا: ريحٌ شرقيَّة. والقَرَّةُ: البردُ. ويَتَرَيَّعُ: يجيء ويذهب.
(19) سَرَاتُهم: خيارهم.
(20) السُّبَّةُ: العار. والذِّمار: ما يجب على الرَّجل حمايته.
(21) جِلاَدٌ: جمع جليدٍ وجَلْدٍ وهو الصَّلبُ.
(22) هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدي بن سعد السَّهمي القرشي، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرِّض المشركين عليهم، وقد أسلم بعد فتح مكَّة، واعتذر من النَّبيّ ﷺ عمَّا بدر منه. وكانت وفاته سنة 15هـ. (انظر: ابن الأثير, د.ت. 160/3).
(23) الرَّسَلُ: الإبل المرسلة بعضها في إثر بعض.
(24) لِقَاحُ الحَرْبِ: زيادتها ونموُّها. وأصدى اللون: لونُه بين السَّواد والحُمْرَة. ومَشْعُولٌ: أي متَّقد متلهِّب.
(25) تَرَاحُ: تفرحُ وتهتزُّ. والخذمُ: قطعُ اللَّحم. والرَّعابيلُ: المُتَقَطِّعةُ.
(26) مُتَجَدِّلاً لاصقاً بالأرض. والجِذْعُ: فرع النَّخلة. والدَّكْدَكُ والدَّكْدَاكُ: أرضٌ فيها غلظ، والجمعُ دَكَادِكُ.
(27) المُقَطَّرُ: الذي ألقي أحد قطريه، أي جنبيه، والقطر: الجانب. وبزَّني: سلبني.
(28) المعمعة: اختلاط الأصوات وشدَّةُ زجلها. الأَبَاءُ: القصبُ، ومعمعةُ الأباء: صوت الحريق في القصب.
(29) المأسدةُ: الموضع الذي تجتمع فيه الأُسود. وتُسَنُّ: تُحدُّ. والمِذَادُ: موضعٌ بالمدينة حيث حُفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. والجزعُ: الجانب.

المنارة للاستشارات

(30) المُعْلِمِينَ: الذين يُعلِّمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرفون بها.
(31) السَّابغة: الدُّروع الكاملة. النَّهي: الغديرُ من الماء.
(32) القَتِيرُ: مساميرُ الدُّروع. والجنادبُ: ذكور الجراد. والشَّكُّ: إحكام السَّرد.
(33) الجَدْلاء: الدُّروع المحكمة أو المدوَّرة الحلق. ويحفزها: يرفعها. والنِّجاد: حمائل السُّيوف.
(34) المقلَّص من الخيول: طويل القوائم ضامر البطن. والورد: الفرس الأشقر الذي حمرة لونه ذاهبة إلى الصُّفرة. والمحجول: الذي في قوائمه بياض يخالف سائر لونه. والأبلق: إذا تجاوز البياض إلى عضديه وفخذيه.
(35) ترد: تُسرع. الكُمَاة: جمع كَمِيّ وهو الشُّجاع. المُلْثَقُ: ما يكون عن الطَّلّ من زلقٍ وطين.
(36) العِمَايَة: سحابةُ الغُبَار وظلمتُه. والوشيجُ: الرِّماحُ. المُزْهِقُ: المُذْهِبُ للنُّفوس.
(37) دَلَفَتْ: تقدَّمت. النُّزَّقُ: الطَّائشون. السَّيئو الخلق.
(38) الحَوْمَاتُ: مواطن القتال. واحدها حَوْمَةٌ.
(39) انظر: (الجبوري, 1398م, 29) والقصيدة مطلعها:

حَيّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِها طُولُ البِلَى وتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ

(40) هو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر، قاتل المسلمين، واسلم يوم فتح مكَّة. (انظر: ابن عبد البر, 1382هـ 337/1).
(41) العَرَنْدَسَةُ: الشَّديدةُ القويَّة، يريد الكتيبة. والطَّحون: التي تطحن كلَّ ما مرَّت به.
(42) المُرْصِدُ: المُعِدُّ للأمر عُدَّته.
(43) المِرَاحُ: النَّشاط. والشَّاغبين: الذين ديدنهم الشَّغب وتهييج الشَّر.
(44) أَجْلَبَ القومُ: صاحوا واجتمعوا. والرَّنَّةُ: صوتٌ فيه ترجيع يشبه البكاء.
(45) ذات فرغ: الفرغُ مخرجُ الماء من الدَّلو. والزَّبدُ: الرَّغوة.
(46) الحرَّان: العطشان. مُجهزة: مسرعة متمِّمة، يقال: أجهز على الجريح إذا أماته.
(47) أجأ: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. والفرع: اسم موضع.
(48) تغرُّ: تطعم شيئاً بعد شيء. والعُكومُ: جمع عِكْم، وهو الجنب.
(49) الصَّوَّان: حجارةٌ مُلس، واحدتها صوانة. أزل: أملس. الأديم: الجلد.
(50) الجموم: النَّشاط والرَّاحة.
(51) مسوَّمات: معلَّمات.
(52) مآب: اسم مدينة في طرف الشَّام من نواحي البلقاء.
(53) البريم في الأصل: خيطان مختلفان أحمر وأبيض، وكلّ ما فيه لونان مختلطان فهو بريم.
(54) اللجبُ: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيْضُ: ما يوضع على الرَّأس من الحديد. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة.
(55) راضيةٌ: أي مرضيَّة.
(56) أَدَّيتني: أوصلتني. والحِساءُ: جمع حِسيٍّ، وهو ماء يغور في الرَّمل.

المنارة للاستشارات

(57) البَعْلُ: النَّخْلُ الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السَّقي، ويقال: استبعل النَّخل: أي: شرب بعروقه.

(58) هو: بجير بن زهير بن أبي سلمى المُزني، أسلم قبل السَّنة السَّابعة للهجرة، ودعا أخاه كعباً للإسلام، وشهد مع المسلمين بعض الغزوات ومنها فتح مكَّة. (انظر: العسقلاني, 1970م, 141/2).

(59) بسبع: أي بسبع مائة. وبنو عثمان: هم مُزينة.

(60) نَطَا: أراد نَطَأ، فخفَّف الهمزة. والرَّشْقُ: الرَّمي السَّريع. والمريشةُ: يعني السِّهام ذوات الريش.

(61) الحفيفُ: الصَّوت. وانصاع: انشقَّ. والفواقُ هنا: الفوق، وهو طرف السَّهم الذي يلي الوتر. والرَّصافُ: جمع رصفة، وهي عصبةٌ تلوى فوق السَّهم.

(62) هو: العبَّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السُّلمي، يكنَّى أبا الهيثم، وهو من شعراء البادية، أسلم قبيل فتح مكَّة، وشارك مع قومه في الجهاد ونصرة الإسلام، توفي سنة 18هـ. (انظر: العسقلاني, 1970م1/342).

(63) البِطاحُ: جمع بطحاء، وهي الأرض السَّهلة المتسعة.

(64) شعارهم: علامتهم في الحرب.

(65) ضنك: ضيِّق. والهام: الرؤوس. والحنتم: الحنظل.

(66) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أنَّ جدَّهم غالب.

(67) العَوْدُ (هنا): الرَّجلُ المُسِنُّ. وشامخٌ: مرتفع , والخضرمُ: الجواد الكثير العطاء.

(68) أَجْمَمْنَا: أَرَحْنَا.

(69) الحَاضِنُ: المرأةُ التي تحضن ولدها.

(70) وَجٌّ: من أسماء الطَّائف. (انظر: الحموي, 1374هـ, 361/5).

(71) العقائقُ: جمع عقيقةٍ، وهي شعاعُ البرق. وكتيف: جمع كتيفة، وهي الصَّفائح الحديد التي تستعمل في صنع الأبواب.

(72) الجديَّةُ: الطَّريقةُ من الدَّم. والجاديُّ: الزَّعفران. ومدوفٌ: مخلوط بغيره.

(73) أَجِدَّهُمُ: بكسر الجيم وفتحها بمعنى: أَبِجِدٍّ منك هذا، ونُصبت على طرح الباء. وعَرِيفاً: عارفاً.

(74) عِتَاقُ: جمع عتيق. والنُّجُبُ: جمع نجيب. والطُّرُوف: جمع طِرْفٍ (بكسر الطَّاء)، وكلُّها صفات للخيل بمعنى: الكريمة الأصل.

(75) الرِّيفُ: الموضع المخصب على الماء. يريد نتَّخذكم أعواناً على الحرب، ونستمدُّ من ريفكم العيش.

(76) نُجَالِدُ: نحارب بالسُّيوف. ومضيفاً: ملجئاً.

*** *** ***

المنارة للاستشارات